التناص القرآني في قصيدة (بلاد ما بين النحرين) للشاعر أحمد مطر

الدكتور
علي عبدالرحمن فتاح
جامعة صلاح الدين - كلية اللغات

المقدمـــة:

إنَّ تأثير النص القرآني في قصيدة (بلاد ما بين النحرين) للشاعر أحمد مطر يشكِّل ظاهرة تستحق الوقوف عليها، ودراستها دراسة أكاديمية، لأنها تتضمن قضايا فنية موجودة في القرآن، ابتداء بالأصوات والألفاظ ومروراً بالمعاني والأساليب وانتهاء بالصورة والقصة القرآنية.

أما الخطة التي اتبعتها فتضمنت مدخلاً وخمسة مباحث، تناول المدخل تأثير القرآن في الأدب بشكل عام قديماً وحديثاً، وآراء بعض النقاد والدارسين في هذا الجانب، وجاء المبحث الأول ليوضح الاقتباس القرآني في هذه القصيدة، وذلك من خلال الحديث عن الاقتباس النصي والاقتباس الإشاري، أما المبحث الثاني فخُصِصَ للكلام عن أثر الألفاظ القرآنية فيها، وكان المبحث الثالث خاصاً بدراسة أثر الفاصلة القرآنية فيها، وتناول المبحث الرابع تأثير القصة القرآنية في القصيدة، وجاء المبحث السادس لتوضيح تأثير الصورة القرآنية في هذه القصيدة، ولخص الباحث في الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها.

وهناك مصادر اعتمد عليها الباحث بشكل كبير، أهمها وأجلها القرآن الكريم، ومنها أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي للدكتور محمد شهاب العاني، بالإضافة إلى المصادر التي تتحدث عن تأثير القرآن الكريم في الأدب واللغة بشكل عام.

مـدخـل:

لقد أعجز القرآن الكريم الإنس والجن قديماً وحديثاً على أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.(١) فهو نمط باهر معجز ببيانه وبلاغته، وهذا ما اعترف به المشركون الذين خبروا الشعر الجاهلي وأسرار اللغة العربية.(٢) وقد جمَّع العرب على لهجة قريش، وأثر في الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية، فقد كان لنزوله بلسان عربي

مبين ((آثار بعيدة المدى في الحياة الفكرية، وتطور اللغة وأساليبها بما جاء به من أساليب رفيعة، وتنسيق لم يألفه العرب في أقصى درجات البلاغة، فجعل الأدباء يقتبسون من عباراته ومعانيه، واكتسبوا في خطاباتهم وكتاباتهم طرق المنطق والحوار، ونأى الشعراء عن مهازل الجاهلية وعف لسانهم بتهذيب الأسلوب القرآني... وعرف مفكروها من أنباء الماضي ما لم يكونوا يعرفون، ورُسمت لهم خطوط حاضرهم وما ينبغي أن يعدوه لمستقبلهم على أسلوب لم يكونوا ينتظرونه)).(٣)

ولم يتوقف تأثير القرآن عند هذا الأثر البين في توحيد اللغة وترقيتها من حيث أغراضها ومعانيها وألفاظها وأساليبها بل ((أصبحت هي اللغة الحية الخالدة من بين اللغات القديمة التي انطمست آثارها، وصارت في عداد اللغات التاريخية الأثرية ـ وأنه قد أحدث فيها علوماً جمة وفنوناً شتى لولاه لم تخطر على قلب، ولم يخطها قلم: منها اللغة، والنحو، والصرف، والاشتقاق، والمعاني، والبديع، والبيان، والأدب، والرسم، والقراءات، والتفسير، والأصول، والتوحيد، والفقــه)).(٤) وكان للشعر نصيب وافر في هذا المجال كما يقول الدكتور (صلاح الدين عبدالتواب) :((منذ أن نزل القرآن، والأدب العربي بدأت تظهر عليه قبسات من روحه، حيث تأثَّر الناس وخاصة الشعراء بالدين الجديد، وظهر ذلك الأثر في شعرهم واضحاً بيناً حيناً، ولمحات وأقباساً حيناً آخـر))(٥). وقد دفع الإعجاز القرآني وإعجاب العرب به ((الكثيرين من أهل اللغة العربية إلى أن يقتبسوا من نور هذا الذكر الحكيم، فنظر الكتَّاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ، وبديع النظم، وحسن السياق، والمبادئ والمقاطع والخواتم، والتلوين في الخطاب، والإيجاز والإطناب، إلى غير ذلك من ألوان الجمال في الأساليب، واستنبطوا منه دقة المعاني، وروعة البيان، وحسن البديـع))(٦). ولكن مع هذا لا بدّ من تميّز الإعجاز القرآني ـ الذي تؤكده الطبيعة الفريدة للقرآن ـ عن غيره من العبارات والأساليب للشعراء والأدباء. ومع إنَّ القرآن الكريم قد نزل في زمن معين بشكل شفاهي واضح، ((إلاّ أنَّ شكله كنص دستوري والدور الذي يلعبه في المجتمع الإسلامي يجعله الكتاب المرجعي، حيث أصبح النص المثالي، وأصبحت لغته وجمله وصوره البلاغية منتشرة في سائر الحديث العربي))(٧).

وقد أفاد الشعراء من الصور والتشبيهات والاستعارات القرآنية، ولم تقتصـــر هذه

الفائدة على غرض دون الأغراض الأخرى، فكما لجأ شعراء الزهد والتصوف إلى الألفاظ والمعاني والصور القرآنية، وجد فيه شعراء الغزل ضالتهم في هذه الميادين. يقول الدكتور (شوقي ضيف): ((وإذا كان القرآن قد أثَّر في معاني الشعر فقد أثَّر أيضاً في موضوعاته فالغزل اتصف بالبراءة والطهر والصفاء والنقاء، مما هيأ لظهور الغزل العذري الذي أضفى على المرأة وعلاقتها بالرجل لوناً من القدسية والاحترام))(٨). ولم تكن إفادة شعراء المديح من الصور والتعابير القرآنية بأقل من سائر الأغراض، (٩). حتى الهجاء لم يكن بمعزل عن هذه الفائدة. (١٠) وخاصة في معركة الإسلام مع المشركين، والذي يرجع إلى دواوين المخضرمين مثل (حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة.. وغيرهم)، يجد فيها الكثير من القيم الروحية التي دافعوا عنها بألسنتهم وسيوفهم، وكانوا يرون في القرآن النبع الذي منه يغترفون صورهم ومعانيهم وألفاظهم، وظلت هذه الرؤية في العصور التي تلت العصر الإسلامي. كما نجد تأثيات قرآنية في شعر الحماسة الذي رافق الفتوحات الإسلامية، مثلما نجد ذلك التأثير في الرثاء في تلك العصور.

وقد استمر هذا الأمر عبر السنين.. ولم يكن العصر الحديث بمنأى عن هذه التأثيرات، فالكثير من الشخصيات والأقوام والأحداث المذكورة في القرآن قد أصبحت رموزاً يستخدمها الشعراء والأدباء. لقد استخدم (نجيب محفوظ) قصة النبي يونس الذي لقب بصاحب الحوت في رواية (ثرثرة فوق النيل)(١١)، فأشار من خلالها إلى حياة العبث واللامعقول التي تعيشها مجموعة من الناس. وفي هذا يقول (روجر آلن): ((ولقد قدمت الموضوعات القرآنية للعقاب السماوي للمذنبين في العصور الحديثة بصورة خصبة تمكن الشعراء من خلالها من التعبير عن آرائهم السياسية، ولقد عبَّر بدر شاكر السياب في قصيدته الشهيرة (أنشودة المطر) عن مصير قبيلة ثمود العربية القديمة كتحذير للطغاة الجدد))،(١٢) مثلما أوحت قصة نبي الله أيوب إلى السياب لكي يشبِّه مرضه ومصيبته بالابتلاء الذي تعرض له هذا النبي المرسـل.(١٣)

ومن أكثر الشعراء تأثراً بالقرآن الكريم في العصر الحديث الشاعر العراقي أحمد مطر الذي قد لا يجد المتمعن في أشعاره قصيدة واحدة خالية من إشارة قرآنية ولو كانت بسيطة، يحاول الباحث تكثيف وتلخيص تلك التأثيرات من خلال دراسة هذه القصيدة.

بل هناك قصائد مستوحاة بأكملها من القرآن، وله قصائد فيها تعابير وصور و أساليب و ألفاظ و معانٍ قرآنية

أثـر الاقتباس القرآني في القصيدة:

الاقتباس لغة: هو الشعلة، يقال: خذ لي قبساً من النار(١٤)، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾.(١٥). ويأتي بمعنى الإفادة، يقال: اقتبس منه ناراً(١٦).

أما اصطلاحا: فهو أن يضمن المتكلم كلامه شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، شرط أن لا يقال فيه قال الله تعالى وقال الرسول (γ).(١٧) وهو ضرب من الصناعة البلاغية وجزء مهم من البديع، وهو واحد من المحسنات البلاغية التي يعنى بها الأدباء. وقد قسم بعض الدارسين الاقتباس إلى قسمين،(١٨) هما:

١/ الاقتباس النصي:

وهو أن يأخذ الشاعر أو الكاتب ألفاظاً أو تعابير أو نصاً بعينه من القرأن الكريم ويستخدمها في نصه الإبداعي.. فمن الاقتباس النصي في هذه القصيدة قوله في المقطع الخامس والسادس :

أَلَمْ..
ذَلكَ الجَيْشُ: لا رَيْبَ فِي الرَّيْبِ فِيهِ
ارْتَقَى.. فَاسْتَوَى وَالقَدَمْ
وَطَالَتْ يَدَاهْ
فَجَرَّ الإلاه
وَعَلَّقَهُ فِي قُمَاشِ العَلَمْ
فِدَاءَ الصَّنَمْ.
هَلْ لَدَى ذَلكَ الجَيْشِ دَمْ؟
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ أَغَارَ عَلَى أَهْلِه كَالذِّئَابِ.
وَوَلَّى أَمَامَ العِدَا كَالغَنَمْ؟!
أَلَمْ..

ذَلكَ الشَّعْبُ لَمْ يَبْقَ فِي جِسْمِه
مَوْضِعٌ صَالِحٌ للألَمْ!
أَلَمْ يَفْنَ مَا بَيْنَ نَحْرَيْنِ:
نَحْرِ ابْنِ أُمِّ الْـ.... ونَحْرِ الأُمَمْ؟ ١٩

فاقتبس في السطرين الأول والثالث الحروف الهجائية المكررة في بدايات السور، مثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [٢٠]، وفي المقطع الثالث استعان بالاقتباس القرآني لبيان الهزيمة، فاستعان بانتصار المسلمين يوم فتح مكة (٦٣٠هـ)، في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [٢١]، وله اقتباسات أخرى مثل قوله:

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الإِجْتِيَاحْ؟
لَقَدْ كَانَ هَذَا لَكُمْ عِبرَةً
يَا أُولِي الإِنْبِطَاحْ.
يُبَاعُ السِّلاحُ لِقَتْلِ الشُّعُوبْ
وَيُشْرَى السِّلاحُ بِقُوتِ الشُّعُوبْ
وَهَا قَدْ عَلِمْتُمْ
بِأَنَّ الشُّعُوبَ سِلاحُ السِّلاحْ
فَهَلا تَرَكْتُمْ لَهَا مَا يُبَاحْ؟
وَهَا قَدْ عَرَفْتُمْ فُتُوحَ الحُرُوبِ
فَهَلا تَرَكْتُمْ فُتُوحَ النِّكَاحْ؟؟(٢٢)

فقد اقتبس في هذه الأسطر من قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [٢٣]، ويشبه سجون الطغاة الجدد بالنار التي أُحرق فيها أصحاب الأخدود، إذ يقول:

وَدَارُوا عَلَى النَّارِ ذَاتِ الوَقُودْ
وَدَارَتْ خَوَازِيقُ ذُلّ
وَإِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودْ
وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ شُهُودْ

أَلَمْ تَسْأَلُوا..
كَيْفَ يَفْنَى بِهَا مَنْ يُقَادُ
وَيَنْجُو بِهَا مَنْ يَقُودْ؟! (٢٤)

فاقتبس من قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾ [٢٥]، وهذا اقتباس دقيق يقارن به الشاعر بين ما تعرَّض له أصحاب الأخدود وما يتعرَّض له المسلمون من قبل الطغاة الجدد.

٢/الاقتباس الإشاري:

وهذا يعني أن الشاعر يشير إلى الألفاظ والمفردات والصور والقصص القرآنية، من غير أن يلتزم بلفظها وتركيبها، ومنه نجد الكثير من الأمثلة في هذه القصيدة، فعلى سبيل المثال لا الحصر يقول:

نِعَالٌ كِرَامُ نِعَالُ الكِرَامْ
عَلَيْهَا السَّلامْ.
أَعِدُّوا لَهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ..
مِنَ الإِحْتِرَامْ.
عَلَيْهَا السَّلامْ.
وَتِلْكَ النِّعَالُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَكُمْ يَا نَشَامَى
فَخُرُّوا لَهَا سُجَدًا أَوْ نِيَامَا
أَفِي لَثْمِهَا مَا يَغِيظُ وَفِيكُمْ أَلَدُّ الخِصَامْ؟! (٢٦)

فالاقتباس في السطر الثالث واضح من الآية الكريمة ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ ،[٢٧] وفي السطر السادس يقتبس الشاعر من الآية الكريمة : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٢٨]. ويظهر الاقتباس من القرآن في السطر السابع من الآية:﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ [٢٩] .وفي السطر الأخير يقتبس الشاعر من الآية الكريمة : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾[٣٠] . من خلال ما تقدم تبين أنَّ الشاعر نهل من الاقتباس

القرآني بنوعيه النصي والإشاري، وهو خير دليل على قوة تأثره بالنص القرآني، وبراعته في مزج العناصر القرآنية بالمادة الشعرية.

أثـر الألفـاظ القرآنيـة فيها:

للألفاظ أهمية كبيرة في الأدب بشكل عام وفي الشعر بشكل خاص، فهي القوالب التي تحتوي المعاني. ويكمن سر الإبداع عند الجاحظ(٢٥٥هـ) في الألفاظ، لأنه يرى بأن ((المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي، والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج..))[٣١]. واللفظ عند ابن الرشيق (٤٥٦هـ) جسم ((وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه))[٣٢]. أما عند عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) فإن الألفـاظ تتحد مع المعـاني بشكـل لا يمكن التفريق بينهما، لأنـه لا يهتم بـ ((الألفاظ من حيث هي ألفاظ ولا المعنى من حيث هو معنى))[٣٣].

ولقد استخدم الشـاعر أحمد مطر الألفـاظ القرآنيـة بشكل كبير جداً، قد لا نجده عند أي شاعر معاصر آخر. على سبيل المثال (نبأ، عبرةً، حديثُ الجنود، النّار ذات الوقودْ، أعدوا لها ما استطعتمْ، خرّوا، ألدُّ الخصامْ، ويلٌ، صلّى، أُحِلَّ لكم، سبيل الرشادْ، شيء عجابْ، السميعُ، البصيرُ، فسبِّحْ، الفتية المؤمنونْ، قوارير، هيتَ لكْ، تبارك، سبحانَ.. وغيرها). بقي أن نتعرّف على المستوى الذي وصل إليه الشاعر في استخدام الألفاظ القرآنية وتوظيفها في الأداء الشعري.

من الألفاظ القرآنية التي تناولها الشاعر ووظّفها في شعره لفظة (هيت لك) التي وردت في سورة يوسف على لسان امرأة العزيز في دعوتها للنبي يوسف (عليه السلام) في الآية الكريمة: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾[٣٤]، بمعنى تهيأتُ لك، فقال الشاعر في الهجاء السياسي:

أَفَضْلُكَ آت منَ (الفَضْلِ)
أَمْ منْ فَضيلَةِ تِلْكَ الَّتي.. (هَيْتَ لَكَ)؟!
عَفَا الرُّومُ عَنْكَ
خُذ العَفْوَ وَأْمُرْ لَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ
بِمِلْيُونِ صَكْ

وَأَغْلِقْ فَمَكْ. (٣٥)

أما اللفظة القرآنية (ألدّ الخصام) فقد وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾(٣٦). والألد من الرجال الشديد الخصومة، وهو ذو جدال، وشديد القسوة في معصية الله(٣٧). وقد أجاد الشاعر في استخدام هذه اللفظة في قوله:

وَتِلْكَ النِّعَالُ نُداوِلُهَا بَيْنَكُمْ يَا نَشَامَى
فَخِرُّوا لَهَا سُجَدًا أَوْ نِيَامَا
أَفِي لَثْمِهَا مَا يَغِيظُ وَفِيكُمْ أَلَدُّ الخِصَامْ؟! (٣٨)

ومن الألفاظ القرآنية (سبيل الرشاد)، في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾(٣٩).وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾(٤٠). ولفظة (شيء عجاب) في قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾(٤١). واستعان الشاعر بهاتين اللفظتين في هجاء الزعماء الذين يتبعون سنة فرعون في اضطهاد شعوبهم، حيث يقول:

وَإِذْ قَالَ إِبْلِيسُ
إِنِّي أُرِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادْ.
فَيَا قَوْمِ.. شَلَّتْ يَدُ الإِقْتِصَادْ
وَرَانَ الكَسَادْ
وَإِنِّي أَرَى ثَرْوَتِي فِي نَفَادْ.
فَمَا لِيَ لا أَرْتَدِي جُبَّةً
مِنْ "بِيَارِ بْنِ كَارْدَانَ"
أَوْ عِمَّةً مِنْ بِلادِ الضَّبَابْ؟
أَذَلِكَ شَيْءٌ عُجَابْ؟
أَلا إِنَّكُمْ فِي ازْدِيَادْ
وَإِنِّي عَلَى خَفْضِكُمْ قَادِرٌ..
فَانْفِرُوا لِلْجِهَادْ! (٤٢)

هكذا ظهرت آثار لغة القرآن الكريم في هذه القصيدة من خلال امداد الشـــــاعر

قصيدته بالكثير من الألفاظ القرآنية وترصيع لغته بها مستفيداً من جمالها اللغوي وطاقاتها التعبيرية، وشحناتها الإيحائية، والشاعر يتناول هذه الألفاظ بنصها مرة، ويحوّر مرة فيها تحويرا يسيراً لا يبعدها عن أصلها الكريم. وهناك أوجه الشبه والاختلاف بين ما عبَّر عنه القرآن الكريم وبين ما قصده الشاعر، فقد استخدم الشاعر تلك الألفاظ القرآنية استخدامات جديدة، مثل أسماء الله الحسنى (العظيم، البصير، السميع، الرحيم)، التي وردت في هذه الآيات: ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡضِى بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَىۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾(٤٣)، وقوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۗ وَهُوَ ٱلۡعَلِىُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾(٤٤)، وقوله : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٤٥)، مثلما نجد في هذا المقطع:

وهذا الوجود العظيمُ الحقيرُ
البصيرُ الضريرُ
السميعُ الأصمْ
وجودٌ عدمْ! ٤٦

ومَنْ يرجع إلى نص القصيدة يرى استخدامات أخرى للألفاظ القرآنية مثل (التبريك والتسبيح والتحميد).. ويستخدم في هذا المقطع كذلك لفظين قرآنيين هما (فسبح، وسبحان) :

فسبِّحْ بحمد الحجارِ
وسبِّحْ بحمد الصُّورْ! (٤٧)
وسبحانَ هيئةِ شنِّ الحروبِ
ووصلِ الشِّمالِ..
وفصلِ الجنوبِ (٤٨)

واستخدم ألفاظاً قرآنية أخرى مثل (الصلاة) و(الويل) وهي حفرة من حفر جهنم، إضافة إلى مشتقات الحلال / أُحلَّ) إذ يقول:

وَوَيْلٌ لِمَنْ لا يَفُكُّ الحِزَامْ
وَطُوبَى لِبَغْلٍ
تَسَامَى لِنَعْلٍ
وَصَلَّى لِنَغْلٍ.. صَلاةَ النَّعَامْ!

أُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَعِيشُوا مَطَايَا
وَأَنْ تَزْحَفُوا لِلْمَنَايَا
جِيَاعًا عَرَايَا
وَأَنْ تَشْحَذُوا مِنْ أَيَادِي البَغَايَا
بَقَايَا الطَّعَامْ.
أُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تُمِيتُوا
وَأَنْ تَسْتَمِيتُوا
لِيَحْيَا النِّظَامْ.
أُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَمُوتُوا
وَيَبْقَى لَنَا وَجْهُ أُمِّ المَعَارِكِ
وَابْنِ الحَرَامْ! (٤٩)

ومن يرجع إلى القصيدة يلاحظ استخداماً مكثفاً للألفاظ القرآنية أخرى مثل: (النبأ -الإبليس- الجهاد – الصنم - القدر - السجدة- البعث).. لقد ظهرت في هذا المبحث جوانب من آثار القرآن الكريم بلغته وألفاظه ومعانيه في هذه القصيدة، وهذا يدل على تَثَقُّف الشاعر بالثقافة القرآنية وعناصرها المختلفة، ومنها اللغة والألفاظ والمعاني، وما يشع منها من إيحاءات ورموز تتحلى القصيدة وتترصع بها.

أثر الفاصلة القرآنية فيها: لقد أجمع الدارسون قديماً وحديثاً بأن الفاصلة هي الكلمة الأخيرة في كل آية، فقال السيوطي(ت٩١١هـ) إنَّ ((كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع))(٥٠). ولم يأت المحدثون بجديد عندما عرَّفوها، فهي ((تلك الكلمة التي تُختمُ بها الآية من القرآن))(٥١). ولقد أطلقت الفاصلة على تلك الكلمات بدل السجع والقافية، لأنَّ العلماء نزهوا القرآن من السجع، ولأنها لا تتوافر فيها شروط القافية بالشكل الدقيق، والأمور التي تعتبر عيوباً في القافية لا تُعد كذلك في الفاصلـة.

أما أهمية الفاصلة فتكمن في تأثيرها في ((نسق الكلام، واعتدال المقاطع، وتجعل موقعه حسناً في النفوس، وتؤثر فيه تأثيراً لا يُنكر، وتناسب الأطراف، وتماثل الحروف، مما يريح السامع ويجذب انتباهه))(٥٢). إنَّ تأثير الفاصلة القرآنية واضح في كل مقطع من

مقاطع هذه القصيدة. ومنها حرف النون المسبوق بحرف العلة (الواو)، وهي كثيرة في القرآن، يذهب الدكتور أحمد الحسناوي إلى أن حرف (النون) هو أكثر الحروف ملائمة للفاصلة القرآنية، ثم الميم، ثم حروف المد (الألف والواو والياء)[٥٣]. أما في هذه القصيدة فيطالعنا حرف النون كقافية شعرية في بعض المقاطع، وسبق حرف النون بحرف من حروف المد، وهو الواو، منها:

وَلَمَّا أَوَى الفِتْيَةُ المُؤْمِنُونْ
إِلَى كَهْفِهِمْ
كَانَ فِي الكَهْفِ مِنْ قَبْلِهِمْ مُخْبِرُونْ!
ظَنَنْتُمْ إِذَنْ أَنَّنَا غَافِلُونْ؟
كَذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلَكُمْ
فَاسْتَجَبْنَا..
وَلَوْ تَعْلَمُونْ
بِمَا قَدْ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ قَوَارِيرَ
كَانَتْ قَوَارِيرَ مَنْصُوبَةً
فَوْقَهَا يَقْعُدُونْ.
وَلَوْ قَدْ رَأَيْتُمْ، وَثَمَّ رَأَيْتُمْ
مَرَاوِحَ سَقْفٍ بِهَا يُرْبَطُونْ.
وَأَنْتُمْ عَلَى إِثْرِهِمْ سَائِرُونْ.
لِيَنْشُرَ مَاذَا لَكُمْ رَبُّكُمْ؟
رَحْمَةً؟
تَحْلُمُونْ!
وَهَلْ قَدْ حَسِبْتُمْ بِأَنَّ المَبَاحِثَ مَلْهًى
وَأَنَّا بِهَا لاعِبُونْ؟!
سَنُمْلِي لَكُمْ مِنْ لَدُنَّا اعْتِرَافَاتِكُمْ
ثُمَّ أَنْتُمْ عَلَيْهَا بِأَسْمَائِكُمْ تَبْصِمُونْ.
فَإِنَّا لَنَعْلَمُ مَا لَمْ تَقُولُوا..

وَنَدْري بِمَا في غَدٍ تَصْنَعُونْ.
وَإِنَّا لَنَسْمَعُ صَوْتَ السُّكُونْ
وَإِنَّا لَنُحْصِي ظُنُونَ الظُّنُونْ!
أَكُنْتُمْ لَنَا (مرْبَدًا) تَهْجُرُونْ
وَفِي مَوْلِدِ المَوْتِ لا تَرْقُصُونْ
وَكُنْتُمْ تَقُولُونَ
إِنَّا وَجَدْنَا مُدِيرَ الرَّقَابَةِ تَيْسًا
وَإِنَّا لَهُ عَافِطُونْ.
فَسُحْقًا لِمَا قَدْ كَتَبْتُمْ.
وَبُعْدًا لِمَا تَنْشُرُونْ.(٥٤)

لقد استعان الشاعر ـ في بناء هذه القوافي ـ بالفواصل القرآنية الموجودة في قوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(٥٥). وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾(٥٦)، و﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(٥٧)، وتنتهي أغلب الأسطر الشعرية بالكلمات التي تنتهي بالواو والنون، مثل: (مخبرونْ، يقعُدُون، يُربطون، العيونْ، سائرونْ، تحلمون، لاعبون، تبصمونْ، تصنعونْ، تقولونَ، عاطفونْ، تنشرونْ). واستخدم كذلك حرف الدال المسبوق بحرف المد (الواو) في المشهد الذي يصور فيه الجنود المنهزمين من ساحة المعركة:

ألا هل أتاكم حديثُ الجنودْ؟
الجنود العظامْ
العظام التي أنكرتْ لحمها والجلودْ
الجلود التي ساعة الالتحامْ
استحالت بساطيرَ
تمشي طوابيرَ
تحمل بيض البنودْ
وتعلقُ سود الجلودْ

جلود نعالِ الجنود اليهودْ؟!
وداروا على النّار ذات الوقودْ
ودارتْ خوازيقُ ذُلّ
وإذْ هم عليها قعودْ
وأنتم عليهم شهودْ
ألمْ تسألوا..
كيف يفنى بها من يُقادُ
وينجو بها من يقودْ؟!
تبارك ذو المكتب البيضوي
وحمداً وشكراً لآل السُّعودْ! (٥٨)

فهذه القوافي تحيل المتلقي إلى الفواصل القرآنية في سورة (البروج)، كقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾(٥٩).

أثر القصة القرآنية فيها :

لقد غدت قصص القرآن سراجاً يُنير للمسلمين الكثير من القضايا في حياتهم، فمثلاً : يُضرب المثل بسفينة نوح، وغراب نوح، ونار ابراهيم، وذئب يوسف، وحوت يونس، وعصا موسى، وخاتم سليمان، وناقة صالح، وحمار عزير. ويقال: فلان وصيٌّ آدم. إذا كان متكفلاً بمصالح الناس، فإذا كان معمراً قيل: قد نشأ مع نوحٍ في السفينة. وإذا كان مبطئاً فيما يرسل له قيل: هو غراب نوح. وقيل للحسن رحمه الله تعالى: أيكذب المؤمن للمؤمن؟ فقال: أنسيتم إخوة يوسف؟ وكان يقال: لا يغرنكم البكا فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً يبكون. ويضرب المثل ببراءة الساحة بذئب يوسف، ويقال في عود الحبيب إلى المحبّ: قد رد الله يوسف على يعقوب. وفي حسن الموقع: كأنه قميص يوسف في عين يعقوب. ويقال بيت فلانٍ أفرغ من فؤاد أم موسى. ويقال لكل نبيٍ فرعون، ويقول من ينبه على براءة ساحته: إني لم أعقر ناقة صالح(٦٠).

إنَّ الهدف من دراسة أثر القصة القرآنية في قصيدة أحمد مطر هو التعرف على طبيعة تعامل الشاعر مع هذه القصص، ومعرفة الدافع الذي حفز الشاعر لأخذ هذه

القصة أو تلك، ومدى العلاقة بين فكرة القصة وطبيعة الموضوع الذي سُخِّرت له القصة. فاستخدم قصة فرعون وثمود وجنودهما، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة أهل الكهف، وقصة نوح، وقصة يوسف، وقصة سليمان. وقد وظف الشاعر هذه القصص كلها داخل قصيدة واحدة بشكل تخدم فكرة القصيدة التي تشكل سرداً مختصراً لحرب (أم المعارك) التي خاضها العراق ضد ثلاثين دولة، والشاعر غاضب لما حدث لأبناء جلدته من قتل وأسر، فنراه يصب جام غضبه على كل شيء، ويستخدم القصص القرآنية بمعانٍ ودلالات مختلفة تماماً، إذ يقول:

ألا هل أتاكم حديثُ الجنود؟
الجنود العظامْ
العظام التي أنكرتْ لحمها والجلودْ
وداروا على النّار ذات الوقودْ
ودارتْ خوازيقُ ذُلّ
وإذْ هم عليها قعودْ
وأنتم عليهم شهودْ (٦١)

لقد اعتمد الشاعر في هذا المقطع على قصة أصحاب الأخدود الواردة في سورة (البروج): ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾(٦٢). يخبر عن الذل الذي أصاب الجيش المهزوم. ولكن قبل حيث أشار الشاعر إلى الآية السابعة عشرة من السورة نفسها: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾(٦٣) ليجعلها باباً للدخول إلى عالم السرد، وإخبار المتلقي بما جرى، وهو أسلوب قرآني مشوق يهيء ذهن القارئ للاستماع بتلهف وانتباه. فجعلها الشاعر مقدمة ـ كما نجد في القرآن ـ ليأتي ببعض المشاهد الأخرى من قصة فرعون، حاول من خلالها توطيد العلاقة بين الحاضر والماضي، من خلال الشخصيات والأحداث التاريخية وجعلها رمزاً للشخصيات والأحداث الحاضرة. منها:

وإذ قال إبليسُ
إنّي أُريكم سبيل الرشادْ. (٦٤)

يشكل هذان السطران خطاب الزعيم لشعبه، وقد سخر الشاعر خطاب فرعون لقومه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[٦٥]. وكان خطابه على عكس الواقع تماماً.

وجاءت تأثيرات قصة أصحاب الكهف في أكثر من مكان في القصيدة، منها المقطع الثامن والذي يتناول فرار الجنود بعد الهزيمة خوفاً من المحاكم العسكرية، وهنا يتشبث الشاعر بفرار الفتية المؤمنين إلى الكهف، بقوله:

ولما آوى الفتية المؤمنونْ
إلى كهفهمْ
كان في الكهف من قبلهم مخبرونْ!
ظننتمْ، إذنْ، أننا غافلونْ؟ [٦٦]

إنَّ الكهف الذي يشكل في القصة القرآنية مأوى وخلاصاً للفتية لأنَّه مكان مغلق، فإنَّه يتحول إلى جحيم وعذاب للفتية الجدد، لأنَّه يغدو مكاناً مكشوفاً لأخطبوط السلطة التي تصل أياديها إلى كل مكان سواء أكان مغلقاً أو مفتوحاً. قال تعالى:﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[٦٧]. أما الخروج من الكهف في القصة القرآنية فيشكل نقطة إضاءة وانتصاراً للفتية الهاربين، ولكن الخروج في القصيدة يتحول إلى انعطافة نحو الأسوأ، لأنَّه يشكل تحولاً من مكان مغلق إلى مكان أكثر انغلاقاً، ألا وهو السجن والتعذيب، يصور الشاعر حال الجنود في تلك السجون، إذ يقول: وفازوا بفقد الشعورِ

وفازوا بحلق الشعورِ
وحرق الشعور التي في الصدورِ
وشيِّ الظهورِ
وصعقِ الخصي.. واقتلاع العيونْ![٦٨]

فالرحمة التي تلي نهاية الأحزان والفراق في قصة أصحاب الكهف تتحول هنا إلى كابوس، والرب هناك ينشر رحمة ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾[٦٩]، أما هنا فإنَّ رحمة الرّب / الزعيم حلم

لا يتحقق أبداً ((لِيَنْشُرَ ماذا لكم ربكم؟ رحمةً؟ تحلمون!)). ولا يترك الشاعر هذه القصة إلاّ ليعود إليها مرة أخرى لكي يقارن بين بقاء الفتية المؤمنين في الكهف، وبقاء الجنود الهاربين في السجن، حيث يقول:

وَقِيلَ لَهُمْ: كَمْ لَبِثْتُمْ؟
فَقَالُوا: مِئَاتِ القُرُونْ.
أَنُبْعَثُ؟
قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ العِلْمُ:
بَلْ قَدْ لَبِثْنَا سنينًا
وَمَا زَالَ أَوْلَادُ أُمِّ الْكَذَا يَحْكُمُونْ.
وَمَا دَامَ (بَعْثٌ).. فَلا تُبْعَثُونْ! (٧٠)

إنَّ الراحة التي شعر بها الفتية المؤمنون في كهفهم من خلال نومهم العميق، جعلهم لا يشعرون بمرور مئات السنين، فتوهموا بأنها يوم أو بعض يوم ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ (٧١)، أما العذاب الذي ذاقه الجنود الهاربون في سجونهم فجعلهم يظنون بأنهم لبثوا مئات القرون. إنَّه الزمن النفسي الذي يطول أو يقصر حسب احساس البشر به. تجدر الإشارة إلى أن الشاعر استخدم هنا مشهد الكهف مرتين، مرة مشهد الكهف الذي هرب إليه الجنود خوفاً من العقوبة، وأخرى مشهد السجن الذي أُخذ إليه الجنود بعد القبض عليهم.

ولقد حاول الشاعر أن يمزج بين قصتين في مقطع واحد، فجاء بوصف من قصة النبي سليمان (قال الذي عنده العلم)، ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (٧٢).وحوار من قصة أهل الكهف (بل قد لبثنا سنيناً). ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾(٧٣).

واستنبط مشهد القافلة التي أخرجت النبي يوسف من البئر، والذي شكل نقطة إضاءة وخلاص ليوسف، إذ خرج من المكان المغلق إلى المكان المفتوح، ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ﴾(٧٤)، أما في القصيدة فإن الانتقال من المكان المغلق لا يكون إلاّ إلى مكان أكثر انغلاقاً منه، أي من الكهف إلى السجن حيث التعذيب والإهانة:

وأصغى لأبواقِ سيَّارةٍ..
قالَ: بشرايَ
هذا رقيب السجونْ. (٧٥)

ولا يترك الشاعر قصة يوسف حتى يأتي بمشهد آخر منها، وهو مشهد امرأة العزيز وقد انتصرت غريزة الشهوة في داخلها على قوة العقل والوفاء للزوج، فهيّأت كل الوسائل لتخلو بيوسف في جو تنبعث منه رائحة الجنس والخيانة، ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾(٧٦). ويسخّر الشاعر هذه الخيانة للهجاء، موجهاً خطابه إلى الزعيم ومستنكراً فضل ما يدّعيه:

أفضلك آتٍ من (الفضلِ)
أم فضيلة تلك التي (هيتَ لكْ)؟! (٧٧)

أثر الصورة القرآنية فيها:

للشاعر الحديث أدوات أساسية يستخدمها في بناء قصيدته، وأهم هذه الأدوات هي الصورة الشعرية، فمن خلالها يشكل الشاعر مشاعره وأفكاره في شكل فني محسوس، وبها يعبر عن رؤيته للحياة والوجود وما فيهما من علاقات ظاهرة وخفية. وانطلاقاً من هذه الأهمية العظيمة للصورة الشعرية في بناء القصيدة، اهتم النقاد قديماً وحديثاً بها وعرّفوها تعريفات مختلفة وفقاً لرؤاهم، يقول الجاحظ ((فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير))(٧٨). فالشعر يرسم من خلال الأصوات والكلمات والتراكيب ما يصوره الرسام بالألوان.

أما الصورة الفنية عند المحدثين فهي ((تلك الظلال والألوان التي تخلعها الصياغة على الأفكار والمشاعر، وهي الطريق الذي

يسلكه الشاعر والأديب لعرض أفكاره وأغراضه عرضاً أدبياً مؤثراً، فيه طرافة ومتعة وإثارة))(٧٩).

ولا يقل اهتمام القرآن بالصورة الفنية عن الشعر، فالتصوير ـ حسب رأي سيد قطب ـ ((هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج

الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة))[٨٠]. إن الصورة القرآنية تحوِّل المعنى الذهني إلى هيئة، والحالة النفسية إلى لوحة، ويشخص النموذج الإنساني، ويجسم الطبيعة البشرية. لقد افاد الشاعر أحمد مطر من الصور القرآنية واستخدمها تجسيد ما يجول في ذهنه ووجدانه من غيض وألم تجاه الحكام الخاضعين، منها:

نعالٌ كرامٌ نعالُ الكرامْ
عليها السلامْ.
أعدوا لها ما استطعتمْ..
من الاحترامْ. [٨١]

ففي السطر الثالث من المقطع، يحيل الشاعرُ المتلقي إلى قوله تعالى :﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[٨٢]. لكنه يغيّر معنى الصورة، لأنَّ الله تعالى يأمر المسلمين بإعداد العدة لمواجهة الأعداء، بينما زعماء المسلمين يأمرونهم بالخضوع والاستسلام. أما الصور الفنية الموجودة في قوله:

وتلك النعال نداولها بينكم يا نشامى
فخرّوا لها سُجَّداً أو نياما
أفي لثمها ما يَغيظ وفيكم ألدُّ الخصامْ؟!
وربِّكَ لا تأمنون الحمامْ
إذا لم تذوبوا غراماً بهذا الرَّغامْ. [٨٣]

فتحيل المتلقي إلى بعض الصور القرآنية، ففي السطر الأول نجد إيحاءً للصورة الموجودة في قوله تعالى :﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٨٤]. وهناك علاقة تربط بين الصورتين، وهي الهزيمة في الحرب، ولكن الأولى هي هزيمة المؤمنين في غزوة أُحد، والثانية هي هزيمة المسلمين في العصر الحديث.. وفي السطر الثاني ينتقل الشاعر إلى مشهد سجود إخوة يوسف له في قوله تعالى :﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾[٨٥]. وشتان بين الصورتين: صورة انتصار يوسف على إخوته وصورة انكسار المسلمين أمام الأعداء. وعندما ننتقل إلى

السطر الثالث نجد أنفسنا أمام صورة الطاغوت الذي هو ألدّ الخصام وإذا سعى في الأرض ساعة فإنما ليفسد فيها، مثلما نجده في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾(٨٦). وهناك صور أخرى مستوحاة من القرآن الكريم، كما في قوله:

إذا جاء نصرُ الّذي ما انتصرْ
بأدنى الضَّررْ:
فهذا قدرْ!
ومن فضله أنْ حباكم
بهذا الرئيس الأغرْ
وأن بثَّ من شكله أُمّةً
في صفات أخرْ.
فسبِّحْ بحمد الحجارِ
وسبِّحْ بحمد الصُّورْ! (٨٧)

فالشاعر هنا يريد أن يذكر المتلقي بصورة انتصار المسلمين الذي يستحق تسبيح الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات في قوله تعالى :﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾(٨٨)، ويستخدمها في بيان صورة مغايرة تماماً، وهي صورة انهزامهم في العصر الحديث، وتسبيحهم لصور الزعيم وتماثيله، يقول :

ولو تعلمونْ
بما قد أُعِدَّ لهم من قواريرَ
كانت قوارير منصوبة
فوقها يقعُدُون.
ولو قد رأيتم، وثمَّ رأيتمْ
مراوح سقفٍ بها يربطون.
وأنتم على إثرهم سائرونْ! (٨٩)

يستمد الشاعر أفكاره في هذا المقطع من صور جنة النعيم في القرآن الكريم ويوضح بها الجحيم الذي أُعِد للجنود الفارين من المعركة، ففي الأسطر الأربعة الأولى يُذكر

المتلقي بقوله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ [٩٠]، وفي السطرين الخامس والسادس يحيلنا إلى مشهد عظيم للجنة يمهد له الحق سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾[٩١]. وهذا التهويل والتفخيم من خلال تكرار عملية الرؤية يستخدمه الشاعر في رسم صورة المروحة التي بها يُربطون..

النتائج:

بعد أن تم بفضل الله هذا البحث تمخضت عنه عدةً نتائج، يُجملها الباحث فيما يلي:

لاحظ الباحث قوة تأثر الشاعر بالقرآن الكريم، وظهرت آثار هذا التأثر في كل أجزاء القصيدة حتى شكّلت ظاهرة عنده وذلك من خلال تعامله مع النصوص المقتبسة تعاملاً ذكياً، وجعل الألفاظ القرآنية رافداً يستقي منه جواهر الكلمات، وبدت الفواصل القرآنية بشكل كبير فيها من خلال اختيار الشاعر للحروف والأصوات التي تشكل الفواصل القرآنية بكثرة. وجاء تأثير القصة القرآنية على شكل إشارات أو تلميحات، وذلك محاولة لاختزال المعاني وتكثيفها والابتعاد عن التفصيل والشرح. وظهرت الصورة القرآنية في القصيدة بأشكال مختلفة وبينت مدى تأثر الشاعر بالصور القرآنية واستخدامها للتعبير عما يجول في ذهنه من مآسٍ وآلام. وتأثر الشاعر بالأسلوب القرآني من خلال استخدامه للحروف المتقطعة الواردة في بدايات السور، والاستفهام وغيرهما. أما المعاني القرآنية فقد بدا التأثر بها في جوانب مختلفة في اللغة واللفظ والمعنى.

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث التناص القرآني في قصيدة (بلاد ما بين النحرين) للشاعر أحمد مطر، والتي تتميز بتأثير واضح للنص القرآني من ناحية الألفاظ، والمعاني، والتعابير، والصور، والقصص وغيرها، لهذا حاولت قدر الإمكان دراسة هذه الجوانب في هذه القصيدة، وهذا التأثير يشكّل ظاهرة عند هذا الشاعر، وخاصة في هذه القصيدة لذا حاول الباحث توضيحه من خلال تأثير القرآن في الأدب بشكل عام قديماً وحديثاً، وآراء بعض النقاد والدارسين في هذا الجانب، وتوضيح الاقتباس القرآني في هذه القصيدة، وذلك من خلال الحديث عن الاقتباس النصي والاقتباس الإشاري، وأثر الألفاظ القرآنية، والفاصلة القرآنية فيها، وتناول تأثير القصة القرآنية، وآثار أسلوبية قرآنية فيها، ومن ثم توضيح تأثير الصورة القرآنية، وتأثير المعاني القرآنية في القصيدة، ولخص الباحث في الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها.

Abstract

This research is concerned with the Impact of The Holy Quran text on Ahmad Matar's poem *The Country between two throat slaughters* . It is clear that these Quranic texts have clear impacts on this poem concerning certain "terms, meanings, expressions, images, tales among others. The researcher tries to reveal such aspects in this poem and the fact that those various Quranic texts , have always great impact on Islamic nations, and Arabic literature in the ancient and recent time. The impact of the Holy Quran on Mater's poem is clear in using textual quotations, rhymes as well as in taking benefit from the Quranic tales , images, meanings and other stylistic elements.

هوامش البحث

(١) قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا الإسراء:٨٨.

(٢) إنَّ الوليد بن المغيرة قال لبني مخزوم : ((والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى.)) (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جارالله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي_ بيروت، (د.ت):١٨٠/٧.

(٣) دراسات في الأدب العربي، د.محمد سعدالدين الجيزاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر،(د.ط)، (د.ت):٢٨.

(٤) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، الشيخ أحمد الاسكندري، والشيخ مصطفى عناني، دار المعارف بمصر، ط١٨،(د.ت):٩٩ ـ ١٠٠.

(٥) الصورة الأدبية في القرآن الكريم، د.صلاح الدين عبدالتواب، الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥:٢٣٠-٢٣١.

(٦) نفسه:٢٣١.

(٧) مقدمة للأدب العربي، روجر آلن، ترجمة: رمضان بسطاوسي، مجدي أحمد توفيق، فاطمة قنديل، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣، ط١: ١١٩.

(٨) تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي د.شوقي ضيف:١٧٧. ويُنظر: ديوان جميل بثينة، شرح ومراجعة وتقديم: د. عبدالمجيد زراقط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأخيرة، ١٤٢٢-٢٠٠١: ٦٩-٧٠.

(٩) يُنظر: شرح ديوان جرير، محمد اسماعيل عبدالله الصاوي، مطبعة الصاوي، الطبعة الأولى،١٣٥٣هـ: ١٧.

(١٠) يُنظر : شرح ديوان الفرزدق، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٨٣: ٣١٨. ويُنظر: نصوص مختارة من الأدب الإسلامي، والأموي، د.وهيب طنوس، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٤١٦_١٩٩٦: ١١٠ وما بعدها.

(١١) رواية (ثرثرة فوق النيل)، نجيب محفوظ، مكتبة مصر للطباعة، (د.ت)، (د.ط).

(١٢) مقدمة للأدب العربي:١١٩.

(١٣) الأعمال الشعرية الكاملة، بدر شاكر السياب، ALAWDA ، 2003: ١٤٩/١.

(١٤) أساس البلاغة، جارالله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبدالرحيم محمود، دار المعرفة - بيروت،١٩٧٩: مادة قبس.

(١٥) طه : ١٠.

(١٦) لسان العرب، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر_بيروت، (د.ت): مادة قبس.

(١٧) ينظر: معجم النقد العربي القديم، د.أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية:٢٠٤/١. والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الندوة الجديدة،١٩٥١، ١١/١.

(١٨) يُنظر: أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ)، د.محمد شهاب العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد_٢٠٠٢، الطبعة الأولى.

١٩ الديوان :٢٦٨-٢٧٠.

(٢٠) البقرة : ١-٢.

(٢١) النصر: ١.

(٢٢) الديوان : ٢٦٥.

(٢٣) التغابن : ٥.

(٢٤) الديوان : ٢٦٦.

(٢٥) البروج: ٥-٧. وقوله: { قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُودِ } أي: لعن أصحاب الأخدود، وجمعه: أخاديد، وهي الحفير في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عَمَدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله، عز وجل، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدُوداً وأججوا فيه نار، وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم، فقذفوهم فيها؛ ولهذا قال تعالى: { قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ } أي: مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين.

(٢٦) الديوان : ٢٦٦.

(٢٧) الأنفال: ٦٠.

(٢٨) آل عمران :١٤٠.
(٢٩) السجدة :١٥. وورد بعبارة أخرى في مريم : ٥٨.
(٣٠) البقرة : ٢٠٤.
(٣١) الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٣٨: ١٣١/٣.
(٣٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط٤، ١٩٧٢: ١٢٤/١.
(٣٣) عبد القاهر الجرجاني: بلاغته ونقده، د.أحمد مطلوب، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٣: ٨٢.
(٣٤) يوسف : ٢٣.
(٣٥) الديوان : ٢٧٣.
(٣٦) البقرة : ٢٠٤.
(٣٧) النكت والعيون تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان : ٢٦٥.
(٣٨) الديوان : ٢٦٦.
(٣٩) غافر : ٢٩.
(٤٠) غافر : ٣٨.
(٤١) ص : ٥.
(٤٢) الديوان : ٢٦٧.
(٤٣) غافر : ٢٠.
(٤٤) الشورى : ٤.
(٤٥) البقرة : ٣٧.
(٤٦) الديوان : ٢٦٩.
(٤٧) الديوان: ٢٧١.
(٤٨) الديوان : ٢٧٤.
(٤٩) الديوان : ٢٦٧.
(٥٠) الإتقان في علوم القرآن: ٩٦/٢.
(٥١) من بلاغة القرآن، د.أحمد أحمد بدوي، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ط٢، ١٩٥٣: ٧٥.
(٥٢) الفاصلة القرآنية، د.عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٢: ٢٢.
(٥٣) الفاصلة في القرآن، د. محمد الحسناوي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٦: ٣٥١.

(٥٤) الديوان : ٢٧١-٢٧٢.
(٥٥) المؤمنون : ١.
(٥٦) يوسف : ١٣. ووردت لفظة غافلون في :الأحقاف:٥. ويس:٦، والروم:٧، ويونس: ٧، والأنعام: ١٣١.
(٥٧) التكاثر :٤. ووردت هذه اللفظة في القرآن ٥٦ مرة.
(٥٨) الديوان : ٢٦٥-٢٦٦.
(٥٩) البروج : ٥-٨.
(٦٠) التمثيل والمحاضرة، الثعالبي: ١١ وما بعدها To PDF: www.al-mostafa.co
(٦١) الديوان : ٢٦٥-٢٦٦.
(٦٢) البروج :٤-٥.
(٦٣) البروج :١٧.
(٦٤) الديوان : ٢٦٧.
(٦٥) غافر :٢٩.
(٦٦) الديوان : ٢٧١.
(٦٧) الكهف : ١٠.
(٦٨) الديوان : ٢٧١-٢٧٢.
(٦٩) الكهف : ١٦.
(٧٠) الديوان : ٢٧٢-٢٧٣.
(٧١) الكهف : ١٩.
(٧٢) النمل : ٤٠.
(٧٣) الكهف : ١٩.
(٧٤) يوسف : ١٩.
(٧٥) الديوان : ٢٧٢.
(٧٦) يوسف: ٢٣.
(٧٧) الديوان : ٢٧٣.
(٧٨) الحيوان: ١٣٢/٣. وينظر: دلائل الإعجاز : ٣٣٠. و المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياءالدين بن الأثير، تحقيق: د.أحمد الحوفي، ود.بدوي طبانة، مصر، دار نهضة مصر، ١٩٥٩م :١٢٤/٢.
(٧٩) الصورة الأدبية في القرآن الكريم : ٩-١٠. وينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر أحمد عصفور، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٤: ١٩.

(٨٠) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، (د.ط)، (د.ت) : ٣٢.
(٨١) الديوان : ٢٦٦.
(٨٢) الأنفال : ٦٠.
(٨٣) الديوان : ٢٦٦.
(٨٤) آل عمران :١٤٠.
(٨٥) يوسف : ١٠٠.
(٨٦) البقرة : ٢٠٤.
(٨٧) الديوان : ٢٧٠-٢٧١.
(٨٨) النصر : ١-٣.
(٨٩) الديوان : ٢٧١-٢٧٢.
(٩٠) الإنسان : ١٥ – ١٦.
(٩١) الإنسان : ٢٠.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن رشيق القيـــرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، بيروت، دار الجيل، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢.
- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، النكت والعيون تفسير الماوردي، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان.
- أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر _ بيروت، (د.ت).
- د. أحمد أحمد بدوي : من بلاغة القرآن، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ط٢، ١٩٥٣.
- أحمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف بمصر، ط١٨،(د.ت).
- أحمد مطر، الأعمال الشعرية الكاملة، دار الفكر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.
- د.أحمد مطلوب: - عبد القاهر الجرجاني: بلاغته ونقده، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٣.
- معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية - بغداد، (د.ط)، (د.ت).
- إيليا الحاوي، شرح ديوان الفرزدق، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.
- بدر شاكر السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة - بيروت ، 2003.
- الثعالبي، التمثيل والمحاضرة To PDF: www.al-mostafa.co .

- د. جابر أحمد عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٤.
- جارالله محمود بن عمرالزمخشري: - أساس البلاغة، تحقيق: عبدالرحيم محمود، دار المعرفة- بيروت، ١٩٧٩.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأميل، دار الكتاب العربي- بيروت، (د.ت).
- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٩٥١.
- جميل بثينة، ديوان جميل بثينة، شرح ومراجعة وتقديم: د.عبدالمجيد زراقط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأخيرة، ١٤٢٢-٢٠٠١.
- روجر آلن، مقدمة للأدب العربي، ترجمة: رمضان بسطاوسي، مجدي أحمد توفيق، فاطمة قنديل، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى٢٠٠٣.
- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، (د.ط)، (د.ت).
- د.شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٧٨.
- د.صلاح الدين عبدالتواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.
- ضياءالدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: د.أحمد الحوفي، ود.بدوي طبانة، مصر، دار نهضة مصر،١٩٥٩م.
- د.عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٢.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٨.
- عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٣٨.
- محمد اسماعيل عبدالله الصاوي، شرح ديوان جرير، مطبعة الصاوي، الطبعة الأولى،١٣٥٣هـ.
- د. محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٦.
- د.محمد سعد الدين الجيزاوي، دراسات في الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة الرابعة، ١٩٧٧.
- د.محمد شهاب العاني، أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة (٩٢_٤٢٢هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد_٢٠٠٢، الطبعة الأولى.
- نجيب محفوظ، ثرثرة فوق النيل، مكتبة مصر للطباعة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٧.